معارف
ISSN 1112-7007
EISSN 6804 -2600
المجلد 18/ العدد 1 (جوان 2023): ص.ص: 712-723

منظور النص الأدبي في كتابات إيزابيل إبرهاردت

Perspective of the literary text in the writings of Isabelle Eberhardt

د. محمد مرين*

المركز الجامعي صالحي أحمد، مخبر التراث الثقافي بالجنوب الغربي الجزائري في ضوء النقد المعاصر، النعامة، الجزائر، mh.merine@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/08/19؛ تاريخ القبول: 2023/05/07؛ تاريخ النشر: 2023/06/05

ملخص:

في نصوص الكاتبة إيزابيل إبرهاردت (1877. 1904)، من تلك المراسلات، واليوميات، والسرديات، ما يساعدنا على اكتشاف هذه الشخصيّة عن قرب، ومعرفة منظورها بعيدا عن ذلك الغموض الذي يُحيط بحياتها، وبعيدا عن مجرّد رأي عاطفي ونمطي، نترك للنص ليقول شهادته، باستنطاق هذا النص الأدبي، حيث تقوم عملية القراءة بإعادة تشكيل المنظور في سياقه التاريخي..

كلمات مفتاحية: المنظور؛ النص الأدبي؛ إيزابيل إبرهاردت ؛ الجزائر؛ الصحراء.

Abstract:

In the texts of the writer Isabelle Eberhardt (1877-1904), from those correspondences, diaries, and narrations, what helps us to discover this character closely, and to know her perspective away from the mystery that surrounds her life, and away from just an emotional and stereotypical opinion, we leave the text To say his testimony, by examining this literary text, where the reading process reshapes the perspective in its historical context..

Keywords: perspective; literary text; Isabelle Eberhardt; Algeria; Sahara.

* المؤلف المرسل.

مقدمة:

'إيز ابيل ابرهاردت' 'Isabelle Eberhardt' (1877 . 1904) كاتبة ومراسلة ورحّالة عالميّة أثارت حولها الجدل، بين مشكك في شخصيتها بإثارة الغموض والظلال القاتمة، على تجربتها وحياتها، وبين مُحبّ ومُعجب بسحر تلك التجربة الإنسانيّة والإبداعيّة، وهي التي دُفنت في الأرض التي أحبّتها، بمدينة العين الصفراء، بالجنوب الغربي الجزائري، وهي من أصول روسية وأمّ ألمانية، وأب اختُلف في هويّته[1]، رحلت من فرنسا واستقرت بالجزائر وتنقّلت بين مدنها وبلداتها شمالا وجنوبا، الجزائر، عنابه، الوادي، باتنة، العين الصفراء، البيّض، بشار، القنادسة... تزوجت "سليمان أهني" من وادي سوف، وعُرفت بترحالها وحبّها للصحراء والحياة البدوية وارتداء لباس فرسان الصحراء، كما عُرفت بتعدد لغاتها ومناهلها الفكرية، وعملها مراسلة في الصحراء لمجموعة من الجرائد الفرنسية الصادرة بالجزائر... وتُوفيت في ربيع حياتها خلال فيضانات العين الصفراء 1904، بعد عودتها من رحلة إلى منطقة السّاورة، حيث أقامت بزاوية القنادسة، فاختارت حياة الترحال والمغامرة، والتنقل المستمر في طريق الجنوب، فعبرت المدن والبلدات، وتاهت في دروب الصحراء الرملية، في رحلة نحو شمس الجنوب، ودُفنت في الأرض التي أحبتها ودافعت عنها، ونقلت أفراحها وآلامها وتراثها، وتركت مجموعة من المقالات والقصص وملاحظات السفر، جُمعت في كتب، قام ناشرها فيكتور باريكو Victor Barruccand، الذي كان مديرا لجريدة الأخبار التي كانت مراسلة لها، ومن أهمّ هذه الكتب: 'ملاحظات الطريق' 'NOTES DE ROUTE'[2] جُمعت فيه مذكرات السفر وملاحظات الترحال. وكتاب 'في ظلال الإسلام الدافئة' ' DANS L'OMBRE CHAUDE DE L'ISLAME [3] دوّنت فيه مجموعة من النصوص والقصص.

كما جُمعت أعمالها الكاملة لاحقا في كتب أخرى، مثل: أوراق إسلاميّة، كتابات على الرمال... وتعتبر شخصيّة إيزابيل وأماكنها وتراثها الأدبي من أهم الفضاءات الثقافية التي تحظى بالشهرة والمتابعة العالمية، وجلب أعداد من المتابعين والراغبين في الوقوف على تراث

(1) -Khelifa Benamara, **Isabelle Eberhardt et L'Algérie**, Edition Barzakh, Alger, Algérie, 2005, p11
(2) - Isabelle Eberhardt**, Notes de Route**, Fasquelle ,Grenelle, Paris, France, 1908.
(3) -Isabelle Eberhardt, **Dans l'ombre chaude de L'islam**, Fasquelle ,Grenelle, Paris , France, 1921.

هذه المرأة المتميّزة، التي قرؤوا لها، وقرؤوا عنها، وسحرتهم حياتها المغامرة، فانتشرت كتاباتها في مختلف جهات العالم، وبمختلف لغاته، كما أُنتجت حولها العديد من الأعمال الثقافية، كالأفلام والأشرطة والكتب والمسرحيات والأغاني واللوحات الفنيّة، بما جعلها ظاهرة عالمية مثيرة، ومازال هذا الزخم الثقافي حولها مستمرا.

1- المنظوروالسياق الاستيطاني الفرنسي:

1-1: موقفها من سياسة القمع.

كل عمليّة سرديّة تمنح منذ بدايتها "بل ومنذ عنوانها، عددا من العلامات التي يستطيع المتلقي، الانطلاق منها، لتقليص التباس النص الذي بين يديه"[1] وجلاء آفاقه الجمالية من جهة، وكشف خبايا منظوره ومواقفه من جهة أخرى، فمن خلال النص تكتشف دلالة الموقف، وبنيّة الوعي عند صاحبه، وإيزابيل إبرهاردت التي تُحاول أن تقدّم نفسها بعيدا عمّا كان يروّج عنها، وكأنّ تلك الاتهامات والشكوك والغموض حول شخصيتها كان يرافق تجربتها الواقعيّة في حياتها، ويظهر أنّه استمرّ بعد موتها، تقول: "لست متعاطية للسياسة، ولست جاسوسة لأي حزب كان، لأنهم بالنسبة لي كلهم مخطئون في تخبّطهم هذا، ما أنا إلا امرأة غريبة الأطوار حالمة تُريد أن تعيش بعيدا عن العالم المتحضر في حياة حرة بدوية، ثم تُحاول بعدها وصف ذلك" [2]ولكن لنقفز عن دفاعها المباشر، ونقرأ قراءة نقديّة لمنظورها من خلال النص، فوحده يّلبّي فضول من يريد حقيقة هذه الشخصيّة، واكتشافها من جديد.

كانت 'إيزابيل' مندمجة في الواقع العميق للشعب الجزائري، وعايشت الكيان الاجتماعي للجزائريين، وتأثرت به، ودافعت عنه، وفي وقت كانت الشعوب المقهورة تعيش على هامش الاهتمام الإعلامي، حاولت هي كشف حقيقة ما كان يجري من خرق للقيم الإنسانية، وبشّرت مبكرا بإخفاق مشروع القهر الاستيطاني، فنجدها من خلال كتاباتها ومراسلاتها اختارت أن تكون الصوت الموضوعي الذي يحاول أن يتجاوز حالة التعتيم

(1) . بيرنار فاليط.. النص الروائي. مناهج وتقنيات. ترجمة: رشيد بلحدو، ط1، دار سليكي إخوان، المغرب، 1999، ص 84.

(2) . إيزابيل ابرهاردت . عودة العاشق المنفي ،تر : ميهي عبد القادر . ط1، مؤسسة وليد، الوادي، 2006، ص200.

الفرنسي، فكانت كاتبة حرّة تكتب ما تؤمن به، ومن خلال وضعها الغامض، لم تكن مضطرة لتمرير الحقيقة تحت الصمت المهيمن يومها.

"Elle était libre l'écrire ce qu'elle pensait ou, que par sa position ambiguë elle n'était pas obligée de passer sous silence certaines vérités" (1)

فوجدت 'إيزابيل' ذاتها وسعادتها في الصحراء، في مغامرة السفر على دروب الجنوب التائهة للبحث عن الحرية والصفاء والأمان النفسي، بعيدا عن مدن الصخب والكآبة وعبودية العمران وحدود المسافات... ووجدت في الكتابة وسيلة لنقل حقيقتها وحقيقة مكانها الصحراوي، "لأن الخطاب يُشير إلى من يتكلم به، في الوقت نفسه الذي يُشير فيه إلى العالم"(2) فحدّدت هدفها وغايتها ببساطة، مع ذلك الغموض والأسطورية في حياتها، الغموض الذي يُناسب غرائبية الصحراء ويُناسب خصوصيات المرأة "ما أنا إلا امرأة غريبة الأطوار حالمة تريد أن تعيش بعيدا عن العالم المتحضّر في حياة حرّة بدوية، ثم تحاول بعدها وصف ذلك"(3) فصبغت نفسيتها العاشقة للصحراء وأحاسيسها المتعاطفة مع الحياة البدوية بطبيعة وحياة الفضاء الصحراوي في ظل واقع كولونيالي استيطاني استعبادي، أراد أن يُهيمن على المكان والإنسان.

إنّنا اليوم بحاجة إلى مقاربة نقديّة جريئة في النص السردي عند إيزابيل إبرهاردت، فالقراءة النقديّة لنصوصها حول منظورها المكتنز فيها، وهي عمليّة علميّة وهي كذلك عمليّة حيّاديّة، لا تنطلق من صورة نمطيّة ولا من صورة إيديولوجيّة، والنص الأدبي للكاتب يحمل بشكل من الأشكال صدى وظلال شخصية مؤلفه، ذلك أن "الرواية تحمل بعض سمات الإيقاع النفسي للمؤلف، وتنطبع بالإيقاع الاجتماعي والسياسي والفكري"(4) فتنشأ القصديات النصيّة، بسبب عملية الحوار المستمرّة بين القارئ والنص، ومن خلال هذا الاستنطاق للنص نستخرج محتوى المنظور والموقف الذي كان عليه الكاتب، ولذلك فمن

(1) - Mohamed Rohed **, Isabelle Eberhardt**, **Le dernier voyage** , ANEP, Alger, Algérie, 1991, P 64

(2) .بول ريكور، نظريّة تأويل الخطاب وفائض المعنى، ترجمة: سعيد الغامدي، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، ص52.

(3) . إيزابيل إبرهاردت. عودة العاشق المنفي، ص 200 .

(4) . شعيب حليفي. هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل. ط1، دار الثقافة، المغرب، 2005. ص 131.

منظورات ومواقف إيزابيل إبرهاردت في الجنوب عموما والجنوب الغربي خصوصا، التي يمكن بسهولة رصدها في كتاباتها...

حيث تأتي إبداعاتها لكي تُرجّح الجدل التاريخي لصالحها، فأهمية النص الأدبي تكمن في قيمته التاريخية والإيديولوجية، لأن وجهة النظر في النص الأدبي تتجاوز البعد اللغوي والجمالي لأن "وجهة النظر هي الخالقة للموضوع كما أكد سوسير وليس العكس كما هو سائد عند قطاع واسع من باحثينا "[1] فاختيار المضامين ينمّ عن وجهة نظر وموقف قيمي، لقد قدّمت الكاتبة نصوصا سردية تحمل وجهة نظر منحازة إلى الناس، وتنقل واقعهم الاجتماعي كما هو، بعيدا عن الدّعاية الاستيطانيّة.

لا يوجد في كتابات إيزابيل ما يُشير إلى أيّ دعم أو تواطؤ أو تبرير لسياسة القمع للاحتلال الفرنسي بل يوجد كشف وتذمّر منها، بل وصفت هذا النظام العسكري بالفظاعة والقسوة "كان هنا العرب مجبرون على تحيّة الضباط مثلنا نحن العسكر؟ نعم كل الضباط، وإلا فالضرب والسجن... كان الملازم يُجبر حتى النساء على تحيّته.. نعم النظام العسكري قاس وفظيع "[2] وفي إحدى قصصها على لسان شاب مجنّد تطرح الأسئلة المُحرجة لهذا النظام "لماذا يَحكمون الناس بالترهيب والترغيب؟ لماذا يستلهمون مُمارساتهم من الخوف الذي ما هو سوى شكل من الاشمئزاز والنفور من الوحشية؟ لماذا الاعتماد المطلق على الخضوع الأعمى والانصياع؟ أسئلة كثيرة كان يطرحها جاك وبصراحة فإن النظام القمعي كله يسري فيه التمرّد وبهذا لا يُمكنه تبنّيه "[3] وهو ذروة الرفض لهذا النظام عندما تتوقع التمرّد عليه، وهذا من منطلق فلسفتها الإنسانيّة أنّ الآخر بشر، ففي قصّة الرائد، وهو يتحدّث عن مجنّد شاب لم يستطع التكيّف مع النظام العسكري القاسي "وراح يتعرّف على هؤلاء الرجال الذين بدوا له في البداية غرباء ولكنه شعر بأنّهم رجال مثلهم مثل الآخرين، لا هم أسوأ ولا هم أفضل، آخرون فحسب ولعلّ هذا الذي دفعه لحبّهم"[4] ومن خلال هذا المجنّد تكشف وجه نظام مكتب العرب، وتمنح ذلك البعد

(1) .سعيد بنكراد . في معرفة النص وإنتاج المعنى . ط3، دار الآفاق، بيروت، لبنان، 1985، ص16 .

(2) .عبد القادر ميهي. عودة العاشق المنفي. ص 133.

(3). إيزابيل ابرهاردت .ياسمينة وقصص أخرى. تر: بوداود عمير، ط1، دار القدس العربي. الجزائر، 2011، ص92

(4) .المرجع نفسه، ص95

الإنساني لمفهوم الآخر.

2-1: موقفها من مصادرة الأراضي.

من أهم مظاهر ذلك القمع في تلك الفترة من الاحتلال، قضيّة مصادرة الأراضي من الفلاحين الجزائريين، التي توسّعت بعد قوانين الأهالي (الأنديجينا) منذ 1871، التي وصفتها الكاتبة في مجموعة من القصص، وصفا دقيقا، ويُعبّر عن موقف متعاطف مع الفلاحين، وحياتهم الكئيبة التي تشبه حالة طرقاتهم الترابية...

"La vie du fellah est monotone et triste comme les routes poudreuses de son pays" (1)

كما في قصّة «فلاح»، أو قصّة «مجرم» « ها قد حانت عملية نزع الملكية، حيث تمّ اللجوء إلى تحقيق طويل وغامض حول الحقوق الشرعية لكل فلاح في الأرض التي يشغلها»(2) وتصف الفلاحين وهم يُواجهون مصيرهم "كان الفلاحون يتكلّمون قليلا مهمومين، خلف هيئاتهم المنقبضة والمنسحقة، كانوا سيَدفعون لهم قبل طردهم النهائي، المكتسبات التي راحوا يعدونهم بها، هم الفقراء والبسطاء "(3) ومن خلال شخصيّة عاشوري في قصّة مجرم تصف حالة الفلاح بعد مصادرة أرضه "وجد " عاشوري " نفسه في الفاقة التامة بعد أن نفد ثمن مواشيه، فعمل مستخدما في مزرعة للسيد "غيَار" وهو المستعمر الذي ملك القسم الأكبر من الأراضي "(4) هكذا هي حياة الفلاح الجزائري في ظل الاحتلال وقانون الأهالي.

2: المنظور وسياق المقاومة وتراث الجنوب.

2-1: موقفها من مقاومة الشيخ بوعمامة.

فالسياق التاريخي الذي كانت فيه إيزابيل إبرهاردت في الجزائر تميّزت بوجود مقاومة

(1) - Isabelle Eberhardt, Dans l'ombre chaude de L'islam, P : 244

(2) .المرجع نفسه، .ص 132.

(3) .إيزابيل ابرهاردت . قصة مجرم . تر : شربل داغر، مجلة كل العرب، فرنسا، ص63 .

(4) .المرجع نفسه، ص 63 .

الشيخ بوعمامة، وهو محمد بن العربي بن الشيخ التاجي ولد حوالي سنة 1838 وهو من أولاد سيدي الشيخ بالجنوب الغربي في الجزائر، حفظ القرآن الكريم وتلقى علوم الفقه، ورحل إلى مغرار، وأسس زاويته على الطريقة الشيخية، وخاض مقاومته منذ1881 حتى 1908، بعد نهاية مقاومة أولاد سيدي الشخ (1864 إلى 1880)، وقضى ربع قرن في قتال الفرنسيين وتعطيل توسعهم نحو الجنوب، وخاض معارك عديدة من بينها معركة سفيسيفة، ومعركة تازينة، ومعركة المنقار، واضطر العدو على عقد معاهدة أمان معه فنقضها باعتدائه على السكان، وشارك مساندا لثورة الجنوب التونسي، وحليفا لثورة جيلالي زرهزني (الروقي) المعروف ببوحمارة على سلطان المغرب، (1902-1909) وتوفي الشيخ بوعمامة سنة 1908، بعد مقاومته الكبيرة...

وربط الشيخ بوعمامة علاقات متينة مع الطرق الصوفية الأخرى ومع القبائل في كل تلك المنطقة المحيطة بقلعته بمغرار 50 كم جنوب العين الصفراء، التي أسّسها سنة 1875، وأقام ورشات الأسلحة، فامتدت مقاومته من الجنوب في منطقة توات والساورة حتى شمالا إلى سعيدة وتيارت وشرقا حتى البيض، كما التقى بابن الأمير عبد الملك قبل التوجه إلى وجدة المغربية، فقام بمهاجمة موكب الحاكم العام في زيارته للمنطقة سنة 1900، وقام بمسيرة للتعبئة بين القبائل والمناطق حتى سعيدة وعاد راجعا[1]، "وقد استغرقت ثورة بوعمامة أطول مدّة في تاريخ الثورات الجزائرية ...فقد دامت أكثر من عشرين سنة (1881- 1904) دون أن نحسب ثورة أولاد سيدي الشيخ الأخرى التي كانت تحت قيادة سي سليمان وسي الأعلى والتي قد بدأت عام 1864، وقد ناضل الشيخ بوعمامة أثناء كل هذا العهد الطويل بشجاعة وثبات"[2] وتميّزت هذه المرحلة بسيطرة الاحتلال على مناحي الحياة الجزائرية، وسياسة التمييز ضد الجزائريين التي عبّر عنها قانون الأهالي (كود دي لانديجان) واغتصاب الأراضي"[3] والسيطرة عليها والتنكيل بالإنسان الجزائري وقمعه وتشريده.

(1) - ينظ: عبد الحميد زوزو، ثورة الشيخ بوعمامة، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ج1، ص 19- 29.

(2) . أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992، ج2، ص55، 56.

(3) - المرجع نفسه، ص79.

الواقع بالسهل والطيّع فإن 'إيزابيل' كانت الشاهدة الجريئة التي أبرزت وجه الحقيقة وواقع الحال، وفضحت أسلوب الرقابة الاستعمارية التي كانت سارية المفعول ضد المراسلات الخبرية، والتي تنشر الاسم الذي ذاع خبره منذ 25 سنة، في الجنوب الوهراني، وهو بوعمامة، إنه الخط الذي رسمته لنفسها في كتاباتها، وهو الدفاع عن الأهالي الجزائريين، في سياق حرب معلنة على الجزائر والمنطقة، "ففي بداية أكتوبر 1903 وصل ليوتي إلى العين الصفراء، ليتبع ذلك تعيينه في رتبة جنرال،...بالنسبة لليوتي يتعلق الأمر بطبيعة الحال بحسن إدارة الحرب"[1] فحلّت بالعين الصفراء وهي في حالة حرب حيث وصلت على إثر معركة المنقار بين المقاومة والاحتلال في سبتمبر1903 حيث قامت المقاومة الشعبية بهجوم واسع على جيش الاحتلال في منطقة تاغيت، والتي خلّفت عشرات القتلى من جنود ومجنّدي الاحتلال، " وعلى إثر هذه الأحداث حلّ بالمنطقة مجموعة من الصحافيين من بينهم إيزابيل إبرهاردت[2] فوصفت في تلك الظروف العين الصفراء: "بدت عين الصفراء وكأنّها استيقظت، واستعادت مظاهر الماضي، حيث العهود البطوليّة لبوعمامة، وأضحت أعداد الجنود كبيرة وأكثر صخبا"[3] ويمكن تلخيص منظورها من المقاومة الشعبية في:

- استمرارها في كشف عنف النظام العسكري الفرنسي، وسياسة القمع، والتحقير بالضباط والمتعاونين المتطرفين ضدّ السكان.
- عدم الإساءة للشيخ بوعمامة، أو وصفه بأي لقب تحقيري، من أوصاف الاحتلال.
- أمنيتها بلقاء الشيخ بوعمامة والتعبير عن ذلك في زاويّة بني ونيف.
- تساؤلها الدائم عن أي هدف أو قضيّة يُقاتل جنود اللفيف الأجنبي أو المتعاونين من أجلها.
- مصداقيتها في نقل الأحداث، عكس ما كانت تتمنّاه السلطات العسكريّة من إخفاء

(1) . خليفة بن عمارة، **تاريخ الجنوب الغربي الجزائري الأعلى**، ترجمة : بوداود عمير، ط1، دار القدس العربي، وهران، الجزائر، 2013، ص 205.

(2) . بلعرج بوداود، الشيخ بوعمامة وإيزابيل إبرهاردت، دار الوطن، سطيف، الجزائر، 2021، ص 107.

(3) . إيزابيل إبرهاردت، **كتابات على الرمال**، ترجمة: عبد السلام المودني، ط1، منشورات الجمل، بيروت، لبنان، ألمانيا، 2014، ج1، ص 144.

للحقائق.

2-2: منظورها في المرأة والتراث الثقافي.

تعاطفت إيزابيل كثيرا في كتاباتها مع المرأة الجزائريّة، والمرأة الصحراويّة بالخصوص، فكانت تنقل بأسلوب سردي فيه كثير من العاطفة، حياة البنات وهنّ يتسوّلن في الجزائر العاصمة، بأيديهن النحيفة، أو وهنّ في الأسواق مثل فاطمة الصغيرة في بني ونيف، كما وصفت جمال المرأة بذلك الوصف الدقيق لملامح الوجه، والحُليّ، والملابس، فوصفت المرأة الشاويّة والقبائليّة، ونساء الوادي، وباتنة، وبشار، والقنادسة، والعين الصفراء، وكل مدينة تزورها، وسردت قصص النساء في ذلك الظرف التاريخي والاجتماعي، من خلال قصص مثل ياسمينة، وتاعليت، وامباركة، وتاسعديت، ولم تكن معجبة فقط بجمال المرأة الجزائريّة، ولكن كذلك بعنفوانها، ومكابدتها، وأمومتها، وأنها كذلك تملك وعيها وذكاءها، "هذه المرأة التي بإمكانها أن تُثير شعور الرجل مهما كان مرهقا أو مثقفا لأنها لم تكن جسدا للشهوة فقط وإنما تحمل في رأسها المحجبة أفكارا وفي روحها عالما من الانفعال "[1] أمّا معاناتها فكشفت ملابساته في ذلك القهر الاجتماعي والواقعي بفعل المعاناة، والعادات السيئة، كالزواج الإجباري، وغيره، كما استعملت رمزية الحب، ومن ذلك رمزيّة الحبّ المستحيل في أكثر من قصّة بين المجنّد الفرنسي والمرأة الجزائرية:

ياسمينة / جاك: في قصّة ياسمينة – فشل الحبّ، تاسعديت/ مأمور مكتب العرب: دفاع تاسعديت عن محاولة الاغتصاب، وقبول السجن بدل الخضوع، امباركة/جاك في قصّة الرائد، وفشل العلاقة، ورمزيّة فشل الحب بين المجنّد الفرنسي والمرأة الجزائريّة بالنظر إلى تكرارها بما يُشبه التيمة داخل النص، تتحوّل إلى دلالة رمزيّة لفشل أي علاقة هيمنة عسكرية على السكان الجزائريين، «هل كان يُحبّها ؟ لم يتمكن جاك من تأكيد ذلك، لكنه لم يكن يُعاني من هذا الشك، ذلك أنّ ما يشدّه ويفتنه في شخصيتها هو هذه الهالة التي تُحيط وجودها، كانت بالنسبة إليه ما يُشبه التجسيد الروحي لبلده وعرقه»[2] فالجملة الأخيرة ذات دلالة بليغة في الرمزيّة، ونلاحظ كذلك مدحها وتبجيلها سيدات

(1) . إيزابيل إبرهاردت. **تاعليت وقصص أخرى**، ص 102.

(2) . إيزابيل إبرهاردت، **ياسمينة وقصص أخرى**، ص94.

الزوايا مثل السيدة زينب في زاوية الهامل أو أمّ الشيخ إبراهيم وأخته في زاوية القنادسة، ونقل جماليات الأمكنة والمدن: الوادي، الجزائر العاصمة، عنابة، قسنطينة، باتنة، تنس، عين الصفراء، بشار القنادسة، حبّها للصحراء، وللناس البسطاء وكل هذا مكتوب في نصوصها ويومياتها وقصصها السرديّة.

وتفاعلت لغتها باللغة الشعبية إلى حد دمج المتداول الشعبي في نصوصها باللغة الفرنسية، فتصادفك في نصوصها كلمات مثل :

(Cheikh , Djellaba , Djich , Douar , Chaih, Koubba, Ksar , Malhfa...)

وأحصى لها "محمد رشد" مئة كلمة من اللغة الدارجة في كتابها " في ظلال الإسلام الدافئة" [1] كما تفاعلت مع الحياة الصحراوية بلباسها وطريقة حياتها وممارسة طقوسها الطرقية وزياراتها للزوايا، وحبّها للبلدات الجنوبية ودقة وصفها لمشارفها ومنازلها وحياة الناس فيها. وغيرها من الكلمات التي تحيل إلى الفضاء الثقافي والاجتماعي مثل: كلمات لآلات موسيقية: بندير، الجواق، الغايطة، القمبري...أو كلمات الألبسة: الغندورة، الملحفة، شاشية، جلابة، ... أو كلمات الأمكنة: الحمادة، السراب، الحاسي، الكانون، القربي، الدوار، القبّة، القصر،... أو كلمات النبات: الدرين، الزبوج، الديس، الشيح، الحلفاء...أو كلمات الرتب والمقامات والألقاب: الزاوية، الشيخ، المقدم، باش أغا، الحمّار، لالّة، السباهي، المخازني،... وهكذا نجد عشرات الكلمات المحليّة الجنوبية التي تشكل الفضاء الثقافي والاجتماعي، والتي تأتي ضمن سياق عام للنص أو القصّة في كتاباتها، وزيارتها للزوايا وحبها للبلدات الجنوبية ودقة وصفها لمشارفها ومنازلها وحياة الناس فيها، مثل الحياة الدينية من خلال حياة الزوايا مثلا والحياة الإقتصادية من خلال وصف أنشطة الناس ومعاشهم والأسواق، كوصفها لسوق العين الصفراء، ونقلت بالترجمة بعض الأهازيج والأغاني الشعبية التي كانت تسمعها في الأعراس والأسفار...

خاتمة:

بسبب ارتباط هذه الشخصيّة بمنطقة الجنوب الغربي، كونها عاشت في السنوات الأخيرة من عمرها فيها، وقضت في أرضها إثر فيضان العين الصفراء سنة 1904، ودُفنت في

(1) - Mohamed Roched , **Isabelle Eberhardt**, **Le dernier voyage** , p 353-357

مقبرة سيدي بوجمعة بالعين الصفراء، وكتبت عن الجزائر وصحرائها، يجعل منها ذات صلة وحق في تراثنا الثقافي الجزائري، ويمكن أن تمثّل الجانب العالمي لجزء من هذا التراث الثقافي والتاريخي، من خلال:

أولا: بوصفها شخصية عالمية تركت تراثها المادي في منطقة من مناطق الجزائر، من ذلك بيتها، وقبرها، والأمكنة التي ذكرتها في كتاباتها، فيُمكن أن يكون ذلك من المعالم الثقافية والسياحيّة للمنطقة في بعده الإنساني، بالنظر إلى أنّها جاذبة لاهتمام السيّاح والاهتمام الدولي، فعادة ما يسأل السيّاح القادمون إلى المنطقة عمّا يتصل بالشخصيّة من تراث مادي، في مقدّمتها بيتها وقبرها.

ثانيا: بوصف إنتاجها الأدبي الذي يحتفي بالفضاء الثقافي الجزائري، والفضاء الثقافي بالجنوب الغربي، الذي يمكن أن يساهم في التعريف ببعض جوانب التراث الثقافي في المنطقة، وعولمته من خلال عالمية الشخصيّة وكتاباتها، ويكفي أن ترى اليوم وتقرأ كتابات إيزابيل إبرهاردت، والكتابات حولها، الزاخرة والمؤثثة بالفضاء الثقافي المنتمي للجنوب والصحراء، لتكتشف أهميّة المحمول الثقافي لكتاباتها...

ثالثا: قيمة نصوصها التاريخية في فهم منظورها في سياق الاحتلال والمقاومة، بما يجعل من كتابات إيزابيل إبرهاردت أحد المداخل النقدية في معرفة الشخصية، ومنظورها اتجاه القضايا المرتبطة بتاريخنا، سواء منظورها في حالة الاحتلال والاستيطان الأجنبي، وكشف ممارساته، ومنظورها في المقاومة الشعبية، ومنظورها في تراثنا الثقافي... وهذا كله يمنح لكتاباتها أهميّة معرفية عميقة... يمكن للدراسات الأدبية والتاريخية والاجتماعية... أن تتفاعل في مقاربة علمية للوصول إلى معرفة المنظور والسياقات المفيدة للبحث...

المراجع

المراجع العربية:

. إيزابيل ابرهاردت .ياسمينة وقصص أخرى. تر: بوداود عمير، ط1، دار القدس العربي. الجزائر، 2011.

. إيزابيل ابرهاردت . عودة العاشق المنفي ،تر : ميهي عبد القادر . ط1، مؤسسة وليد، الوادي، 2006 .

. إيزابيل إبرهاردت. تاعليت وقصص أخرى. ترجمة: عبد القادر ميهي، ص 102.
. إيزابيل إبرهاردت، كتابات على الرمال، ترجمة: عبد السلام المودني، ط1، منشورات الجمل، بيروت، لبنان، ألمانيا، 2014، ج1.
- بلعرج بوداود، الشيخ بوعمامة وإيزابيل إبرهاردت، دار الوطن، سطيف، الجزائر،2021.
. بول ريكور، نظريّة تأويل الخطاب وفائض المعنى، ترجمة: سعيد الغامدي، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب.
. بيرنار فاليط.. النص الروائي. مناهج وتقنيات. ترجمة: رشيد بلحدو، ط1، دار سليكي إخوان، المغرب، ،1999.
. خليفة بن عمارة، تاريخ الجنوب الغربي الجزائري الأعلى، ترجمة : بوداود عمير، ط1، دار القدس العربي، وهران، الجزائر، 2013.
. سعيد بنكراد . في معرفة النص وإنتاج المعنى . ط3، دار الآفاق، بيروت، 1985.
- عبد الحميد زوزو، ثورة الشيخ بوعمامة، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.
أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992، ج2.
إيزابيل ابرهاردت . قصة المجرم . تر : شربل داغر، مجلة كل العرب، فرنسا، ص63.
شعيب حليفي. هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل. ط1، دار الثقافة، المغرب، 2005.

المراجع الأجنبية:

- Mohamed Rohed **, Isabelle Eberhardt, Le dernier voyage**, ANEP, Alger, Algérie, 1991.
-Isabelle Eberhardt, **Dans l'ombre chaude de L'islam**, Fasquelle,Grenelle, Paris , France, 1921
-Isabelle Eberhardt**, Notes de Route**, Fasquelle ,Grenelle, Paris, France, 1908 .
-Khelifa Benamara**, Isabelle Eberhardt et L'Algérie**, Edition Barzakh, Alger, Algérie, 2005 .